

بَعْدَ الرَّوْعَاءِ
فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنَّحَاةِ
لِلْحَافِظِ حِبَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السِّيُوطِيِّ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

[جميع الحقوق محفوظة]

١٩٦٤ - ١٣٨٤ هـ

مُهَدِّمَةٌ

عنى العربُ بتدوين تاريخهم عنايةً قلَّ أن تُساويهم فيها أمة من الأمم أو تُدانيها ؛ واقتنوا في ذلك اقتنائاً يدعو إلى العجب والإعجاب ؛ فن ذلك ما ألفوه في تاريخهم السياسى من الكتب والأسفار الطوال ؛ مرتباً على السنين ، أو مقسماً بحسب الدول والإمارات ؛ وضمّنوه أخبار ملوكهم وخلفائهم وأمرائهم وحروبهم وأيامهم ، ومظاهر مدنيّتهم وحضارتهم ، وصنوف علومهم ومعارفهم وألوان ثقافتهم ؛ مع ذكر مجتمعاتهم وأسواقهم وأجلاّب تجارتهم ؛ ولم يخلّوه من الاستطراد إلى رواية أشعارهم وآدابهم ، والاسترواح بالحديث عن محاوراتهم ومطاليباتهم وأفأكيهمهم ؛ كما نرى ذلك فيما كتبه الواقديّ واليعقوبىّ والطبرىّ والمسعودىّ وابن مسكويه وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون والمقرزىّ وغيرهم .
ومنه ما وضعوه في تراجم الرواة ، ورواة الحديث على الخصوص ؛ فجمعوا أخبار الثقات ، وميّزوا رُواة كتب الصحاح ، وأحصوا الضعفاء والمتروكين والوضّاعين والمدلسين ؛ ليمتاز الحسن والصحيح عن الضعيف والموضوع ؛ كما فعل البخارىّ والنسائىّ والدارقطنىّ وابن أبى حاتم والمزّىّ والذهبىّ وابن حجر ؛ وكتبهم في ذلك سائرة مشهورة .
أوماصنفوه في تاريخ البلدان وتراجم من نشأ فيها، أو رحل إليها من العلماء ؛ وخاصة البلاد التى زخرت بالمدارس والمعاهد، وعمرت مجالسها بصنوف المعارف والآداب ؛ كبغداد والكوفة والبصرة ودمشق ومكّة والمدينة وبلاد اليمن والرّىّ ومرّو وإربل وبلخ وقزوين والقاهرة وقوص والقيروان وبلاد الأندلس ؛ وكانت هذه الكتب مراجع أصيلة في تاريخ الآداب والفنون .

كما ألفوا في طبقات شتى من الناس ، كالفقهاء والحكماء والأطباء والأعيان والشعراء

والعميان والعمور؛ حتى الحمقى والفلوكين والمُرورين؛ كان لهم في تاريخ العرب نصيب .
 وكان علماء اللغة والنحو من هؤلاء الذين عُنيَ بهم فريق من المصنِّفين عناية خاصة ،
 فدوّنوا أخبارهم ، وأحصوا كتبهم وآثارهم ، وحددوا مواليدهم وأعمارهم ووفياتهم ،
 وتبعوهم في رحلاتهم ، وبسطوا القول في مذاهبهم وآرائهم ، وتعرضوا لنقدهم في كثير
 من الأحيان ؛ إذ كان هؤلاء العلماء هم الذين جمعوا اللغة وحملوها ، ووضعوا الكتب
 والمعاجم فيها ؛ وكانوا أيضاً هم الذين استقرءوا كلام العرب ودرسوا مخيلف الأساليب ،
 ثم وضعوا أصول النحو والصرف والرسم والنقط والشكل ؛ وكان لهم في ذلك المذاهب
 المختلفة والكتب الكثيرة المتنوعة ، ثم هم الذين رووا الأبيات السائرة ، والقصائد الرائعة ،
 وميزوا الجيد من الزائف ، والصحيح من المنحول ؛ وبفضلهم حُفِظ على الأيام أسمى ما صدر
 عن القرائح ، وأفصح ما نضحت به أخيلة الشعراء .

وكان من أوائل من ألف من هذا الشأن محمد بن يزيد المبرد وأحمد بن يحيى المعروف
 بثعلب ومحمد بن عبد الملك التاريخي وعبد الله بن جعفر بن درستويه؛ ألفوا كتباً صغيرة أوردتها
 ياقوت في مقدمة معجم الأدباء^(١) وقال بعد أن ذكر هذه الكتب: « ثم صنّف فيه أبو عبد الله
 محمد بن عمران المرزباني كتاباً حفيلاً على عادته في تصانيفه ؛ إلا أنه حشاه بما روّوه ، وملاه
 بما روّوه ، فينبغي أن يسمّى مُسند النحويين ؛ وقد وقفت على هذا الكتاب ، وهو تسعة عشر
 مجلداً ، ونقلت فوائده إلى هذا الكتاب ؛ مع أنه قليل التراجم بالنسبة إلى كبر حجمه . ثم
 ألف فيه أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي القاضي كتاباً صغيراً عن نحاة
 البصرة »^(٢) .

وفي القرن الرابع ظهر كتابان جليلان في هذا الشأن ؛ هما كتاب طبقات النحويين
 واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الإشبيلي ؛ أحد أعيان الأندلس وفضلاتها ، وكتاب
 مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي من علماء بغداد ثم حلب ؛ وهما وإن كانا متفقين
 في الموضوع والغاية إلا أنهما يختلفان سرعة ومنهجاً ؛ فكتاب الزيديّ بناه على الطبقات

(١) مقدمة معجم الأدباء ١ : ٤٧ . (٢) كتاب السيرافي طبع في بيروت سنة ١٩٣٦ .

والمدارس ، وعُنى فيه بذكر المواليد والوفيات ، وملاؤه بمختلف الأخبار والطرف والحكايات ؛ عن النحويين واللغويين ، من صدر الإسلام ، ثم من تلامه إلى شيخه أبي عبد الله الرياحي الأندلسي المتوفى سنة ٣٥٨ . وكتاب أبي الطيب أداره على ذكر مراتب العلماء ومنازلهم من العلم وحظهم في الرواية وعقد الصلة بين الشيوخ والتلاميذ منذ ظهور اللحن ووضع النحو ثم ظهور مدرستي الكوفة والبصرة إلى أن انتهى العلم منهما ثم انتقل إلى بغداد . وقد شاع أمر هذين الكتابين بين العلماء ؛ ونقلَ عنهما مَنْ جاء بعدها ممن كتبوا في هذا الشأن^(١) .

قال ياقوت : « ثم أُلّف فيه القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المغربي كتاباً لطيفاً ثم عليّ بن فضال المجاشعي كتاباً وسمّاه « شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب » ، وقع إلى شيء منه ، فوجدته كثير التراجع ؛ قليل الفائدة ، لكونه لا يعنى بالأخبار ، ولا يعبا بالوفيات والأعمار » .

وذكر القفطيّ في ترجمة محمد بن الحسين اليميني المتوفى سنة ٤٠٠ ، أنه أُلّف كتاباً في أخبار النحويين ؛ ونقل عنه في مواضع كثيرة من كتابه .

ثم وضع أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري المعروف بالسكّال ، كتاباً قال في حقه : « ذكرتُ في هذا الكتاب الموسوم بنزهة الألباء في طبقات الأدباء معارف أهل هذه الصناعة من الأعيان ، ومن قاربهم في الفضل والإتقان ، وبيّنت أحوالهم وأزمانهم على غاية الكشف والبيان » ؛ من عهد أبي الأسود الدؤليّ إلى شيخه أبي السعادات هبة الله بن عليّ بن محمد بن حمزة المعروف بابن الشجريّ ، المتوفى سنة ٥٤٢^(٢) .

وفي القرن السابع قام الوزير جمال الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف القفطيّ بتأليف كتابه المعروف « بإنباه الرواة على أنباه النحاة » ، ذكر فيه : « مشايخ علمي النحو

(١) طبع كتاب طبقات الزبيدي بمطبعة السعادة سنة ١٩٥٤م ، وكتاب مراتب النحويين بمطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٥ ، وكلاهما بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . (٢) طبع كتاب نزهة الألباء طبع حجر بمصر سنة ١٢٩٤هـ ، وأخرى بالعراق سنة ١٩٥٩م

واللغة ؛ ممن تصدّر لإفادتهما تصنيفاً وتدريساً ورواية ، في أرض الحجاز واليمن والبحرين
وعُمان واليَمَمة والعِراق وأرض فارس والجبال وخراسان وكرْمسير وغازنة وما وراء النهر
وأذربيجان والمذار وأرمينية والموصل وديار بكر وديار مُضَر والجزيرة والمواصم والشَّام
والسَّاحل ومصر وعمَلها وإفريقيَّة ووسط المغرب وأقصاه وجزيرة الأندلس وجزيرة
صِقْلِيَّة ، ورتبه على حروف المعجم بعد أن صدره بترجمة عليّ بن أبي طالب ثم أبي الأسود
الدُّوَلِيّ^(١) .

وفي القرن الثامن وضع عبد الباقي بن عليّ بن عبد الحميد القرشيّ اليمانيّ ، كتاباً صغيراً
أسماه إشارة التعمين^(٢) قصره على المشهورين منهم ، على ترتيب حروف المعجم ؛ ذكر أنّه
فرغ من تأليفه سنة ٧٧٣ ؛ كما قام أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسديّ المعروف بابن
قاضي شُهبة والمتوفى سنة ٨٥١ كتاباً آخر أسماء طبقات النحويين واللغويين^(٣) ؛ أودع
فيه أسماءهم مرتبة على حروف المعجم أيضاً .

ثم جاء بعد هؤلاء جميعاً عالماً الجليل عبد الرحمن بن أبي بكر السيموطيّ ، فوضع كتابه
العتيد « بُنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه » ؛ أودعه صفوة جميع الكتب التي
سبقته في هذا الشأن ، وزاد عليها ما انتقاه من كتب الأدب والتاريخ والتراجم ومعاجم
الشيوخ والتذكريات ومقدمات الكتب عدا مشاهداته وأخبار شيوخه وعلماء عصره ؛
قال في وصفه : « بنيتُ فيه للنحاه طبقاتٍ قواعدها على ممرّ الزمان لا تهيّ ، وأحييتُ فيه
ميتهم فلم أعادر شهيراً ولا خاملاً إلا نظمتُهُ في سِلْكِ عِقْدِهِ البَهِيِّ ، فلوراه البيهقيّ خلّج
وشاحه بين يديه توقُّراً ، أو ابن الأَبَّار خلّج عليه حُلَّتَهُ السِّيرَا ، أو ابن بسّام لأضحى عابساً
لنفاذِ ذخيرته ، أو ياقوت الحمويّ لقال : هذه الدرّة اليتيمة التي لم يقع عليها الأصهبانيّ حين
أتى بخريدته ، على أني لا أبيعُه ببيعِ سَلَامَةٍ ، ولا أدعيّ أنه لم يفتني فاضلٌ أو علّامة .

(١) طبع من كتاب إنباه الرواة ثلاثة أجزاء بمطبعة دار الكتب المصرية ، بتحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ؛ والجزء الرابع والأخير تحت الطبع . (٢) من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب
المصرية رقم ١٦١٢ - تاريخ . (٣) منه نسخة مخطوطة بال مكتبة الظاهرية بدمشق .

أُنِي لى ، ونجباء الدنيا لا تحصى ، وأخبارهم شتى ولا تستقصى ، خصوصاً علماء العجم المتأخرين فإنهم ضيعوا أنفسهم بترك تاريخ يجمع شملهم . وقد اعتنى بذلك المتقدمون من علماء محدثهم ، فاستعننا بما وقفنا عليه من تواريخهم ، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي والذيل عليه للحافظ تقي الدين بن رافع ، وتاريخي نيسابور للحاكم وعبد الغافر ، وتاريخ جرجان للسهمي ، وتاريخ أصبهان لأبي نعيم . وأما المغرب فأهله أصحاب اعتناء شديد بذلك ، والنحاة جَمٌّ غفير ، وأكثر ما وقفنا عليه من تواريخهم تواريخ الأندلس ، كتاريخ ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الزبير وابن عبد الملك والريحانة لابن عاتٍ وتاريخ غرناطة لابن الخطيب ، وأما غيرها من بقية بلاد المغرب فلم نقف على تواريخه ، إلا المغرب في تاريخ بلاد المغرب عامة لابن سعيد . وأما الحجاز فوقفنا من تواريخه على تاريخ مكة للثق الفاسي - وهو متأخر لم يستوعب - وتاريخ الين للجندي والخزرجي وهو حافل . وأما الشام فوقفنا على تاريخها لابن عساكر وأعظم به ، وتاريخ حلب لابن العديم ، وأما مصر فلم نقف على تواريخها إلا تاريخ ابن يونس ، وهو مجلد لطيف .

هذه التواريخ المذكورة قد استوعبناها كلها ، ولم ندع فيها أحدا ممن تحققنا أنه نحوي إلا ذكرناه ؛ مع ما وقفنا عليه من التواريخ التي لا تختص ببلد ؛ كتاريخ الإسلام للذهبي وطبقات القراء له والدور لشيخ الإسلام ابن حجر في أعيان المائة الثامنة وإنباء النعمر بأبناء العمر له ، وتاريخ الصلاح الصفدي ، والمسالك لابن فضل الله العمري ، وذيل طبقات القراء للعفيف المطري ، وطبقات النحاة للسيراقي وللمفضل الضبي ولأبي بكر الزبيدي ، وطبقات أئمة اللغة للشيخ مجد الدين الشيرازي ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، والنصار لأبي حيان ؛ إلى غير ذلك من المعاجم والتمايق التي لا تحصى .

وأصل هذا الكتاب على ما بينه السيوطي مجموعة كبيرة أودع فيها جميع ما في كتب الأدب والتاريخ « من ترجمة نحوي طالت أو قصرت ، خفيت أخباره أو اشتهرت » ، أورد فيه من « فوائدهم وأخبارهم ومناظراتهم وأشعارهم ومروياتهم ومفرداتهم ما لم يجتمع في كتاب ، بحيث بلغت المسودة سبع مجلدات » .

قال : « فلما حلتُ بِمَكَّةَ المُشْرِفَةَ سنة تسع وستين ، وقفتُ عليها صديقنا الحافظ نجم الدين بن فهد . . . فأشار عليّ أن ألخص منها طبقاتٍ في مجلّد ؛ يحتوى على المهمّ من التراجم ، ويجرى مجرى ما ألفه الناس من المعاجم ، فخدمت رأيه ، وشكرت لذلك سَعِيَّه ، ولخصت منها اللّباب في هذا الكتاب . »

وقد رتب تراجمه على حروف المعجم ، وابتدأها بالمحمدين ثم بالأحمدين تبرّكا ، وجعل في آخرها باباً في الكنى والألقاب والنسب والإضافات مرتباً على الحروف ، وآخر في المؤتلف ؛ وهو المتفق خطأ المختلف لفظاً ، وثالثاً في الآباء والأبناء والأحفاد والأخوة والأقارب ، ورابعاً في أحاديث منتقاة من الطبقات الكبرى له . وذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه في شهر شعبان سنة إحدى وسبعين وثمانمائة .

وقد امتاز كتاب بغية الوعاة عن بقيّة الكتب التي سبقته بأنه يعد أشمل كتاب ألف في هذا الفن ؛ أتى فيه على ما في الكتب السابقة وأضاف إليها ما فاتها من تراجم ، وما وقع له من أخبار شيوخه ومعاصريه ؛ كما أنه نقل عن كتب أصبحت مفقودة وأخرى ما زالت في دور الكتب مخطوطة ؛ وصوّب نصوص كثير من الكتب المطبوعة التي رجع إليها ، وأكمل نواحي النقص فيها ؛ وكشف الغموض عما أبهم منها ؛ فهو بهذا الاستيعاب الشامل ، وذلك الترتيب الدقيق الكامل ، وما ألحق به من أبواب تدنى أقاصيه ، وتقرب نواحيه ؛ يستأهل أن يكون غنيّة المتأدبين ، ومرجع الباحثين ، وعمدة الدارسين .

هذا، وقد رجعت في تحقيق هذا الكتاب إلى النسخ الآتية :

١ - نسخة مصورة عن نسخة كتبتُ بخطّ أحمد بن الخطاب بن عمر المنشاويّ سنة ٩٧٩ ، بخط معتاد ، مقابلةً على نسخة أخرى ، وأثبتتُ المقابلة في حواشيا ؛ وعليها بعض التملكات ؛ تملكها محمد بدر الدين القرافي المالكي سنة ٩٧٩ ، ثم محمد المقرئ الحنفيّ سنة ١٠٤٤ ، ثم زين الدين البصراويّ سنة ١٠٧٥ . وهي محفوظة

بدار الكتب المصرية برقم ١٥٦٧ - تاريخ ، وتقع في مائتي ورقة وثلاث ورقات ، كل صفحة ثلاثة وثلاثون سطرا ؛ وفي كل سطر خمس عشرة كلمة تقريبا ؛ وهي نسخة جيدة ؛ وأخطاؤها يسيرة ؛ مع خلوها من الضبط ؛ وقد أخذتها أصلا لقرب عهد كتابتها بمهد المؤلف من ناحية ؛ وباعتبارها نسخة كاملة مقابلة من ناحية ثانية ؛ وقد رمزت لها بلفظ « الأصل » .

٢ - قطعة مصورة عن نسخة مكتوبة بخطوط مختلفة، محفوظة بالمكتبة التيمورية برقم ٥٢٤-تاريخ؛ تبدأ من أثناء الكلام على محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي الأركشي ص ١٩٧ وتنتهى في أثناء الكلام على علي بن المهيم الكاتب الأنباري ص ٥١٨ . وهي مكتوبة بخط جيد صحيح^(١) ؛ وقد ضبط فيها كثير من نصوص الشعر والأعلام وأسماء البلاد ضبطا صحيحا ، وفي كل صفحة من صفحاتها سبعة وعشرون سطرا ؛ في كل سطر خمس عشرة كلمة تقريبا وقد رمزت إليها بالحرف (ت) .

٣ - نسخة طبعت بمطبعة السعادة سنة ١٣٣٦ تقع في ٤٦١ صفحة ؛ يشيع فيها الخطأ والتعريف . وقد رمزت إليها بالحرف (ط) .

كما أني رجعت إلى ما تيسر لي من الكتب التي نقل السيوطي عنها ، كعجم الأدباء وإنباه الرواة وطبقات الزبيدي ومراتب النحويين والسيرافي وابن الفرضي وابن بشكوال والإحاطة والمغرب والطالع السعيد ، وما طبع من الوافي بالوفيات وابن خلكان وغيرها ؛ وأثبت المههم من فروق النسخ والمراجع في الحواشي ؛ وكان حرصي على سلامة النص وضبط الغريب وشرح المههم أكثر من حرصي على التعريف بالأعلام والبلاد والإسراف في الشرح والتعليق ؛ إذ كان ذلك أهم ما يحتاج إليه العلماء والباحثون عند الرجوع إلى الكتب المحققة .

وجلال الدين السيوطي مؤلف هذا الكتاب أغنى الباحثين عن تاريخه وذكر شيوخه ومؤلفاته ، فكتب لنفسه ترجمة عند الكلام على من كان بمصر من الأئمة المجتهدين من كتابه

(١) يرجع صديقنا الأستاذ فؤاد السيد أمين المخطوطات بدار الكتب أنها بخط السيوطي نفسه .

حسن المحاضرة ، قال : « . . . عبد الرحمن بن السكّال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصّلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همّام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى .

وإنّما ذكرتُ ترجمتى فى هذا الكتاب اقتداءً بالمحدّثين قبلى ؛ فقلّ أن أَلّف أحدٌ منهم تاريخاً إلا ذكر ترجمته فيه ؛ وممّن وقع له ذلك الإمام عبد الغافر الفارسىّ فى تاريخ نيسابور وياقوت الحموىّ فى مُعجم الأدياء ، ولسان الدين بن الخطيب فى تاريخ غرناطة والحافظ تقىّ الدين الفاسىّ فى تاريخ مكّة والحافظ أبو الفضل بن حَجَر فى قضاة مصر ، وأبو شامة فى الرّوضتين - وهو أوزعهم وأزهدهم - فأقول :

أما جدّى الأعلى همّام الدين ؛ فكان من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطرق - وسيأتى ذكره فى قسم الصّوفيّة - وممّن دونه كانوا من أهل الوجاهة والرّئاسة ، منهم من ولى الحكم ببلده ، ومنهم من ولى الحسبة بها ، ومنهم من كان تاجراً فى صحبة الأمير شيخون وبنى بأسيموط مدرسة ووقف عليها أوقافاً ، ومنهم من كان متمولاً ؛ ولا أعلم منهم من خدّم العلم حتّى الخدمة إلا والدى - وسيأتى ذكره فى قسم فقهاء الشافعية - وأما نسبتنا بالخضيرىّ فلا أعلم ما تكون هذه النسبة إلا الخضيرية ، محلّة ببغداد . وقد حدثنى من أتق به أنّه سمع والدى رحمه الله يذكر أن جدّه الأعلى كان أعجمياً ، أو من الشرق ؛ فالظاهر أنّ النسبة إلى المحلّة المذكورة .

وكان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، ومُحِلّت فى حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب ؛ رجل كان من الأولياء بجوار المشهد النفيسىّ ، فبرك علىّ . ونشأتُ يتيماً حفظت القرآن ولى دون ثمان سنين . ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفيّة ابن مالك ، وشرعتُ فى الاشتغال بالعلم من مستهلّ سنة أربع وستين ، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، وأخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحىّ ؛ الذى كان يقال : إنه بلغ السنّ العالية ، وجاوز المائة بكثير - والله أعلم بذلك - قرأتُ عليه فى شرحه على المجموع .

وأجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين ، وقد ألفت في هذه السنة ، فكان أول شيء ألفتُه شرح الاستعاذة والبسمة ، وأوقفتُ عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقيني ، فكتب عليه تقریظاً ؛ ولازمته في الفقه إلى أن مات ، فلازمت ولده ؛ فقرأت عليه من أول التدرب لوالده إلى الوكالة ، وسمعتُ عليه من أول الحاوي الصغير إلى العدد ، ومن أول المنهاج إلى الزكاة ، ومن أول التنبیه إلى قريب من الزكاة ، وقطعة من الروضة ، وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشي ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها .

وأجازني بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين ، وحضر تصديري ؛ فلما توفيتُ سنة ثمانٍ وسبعين ، لزم شيخ الإسلام شرف الدين المناوي ، فقرأتُ عليه قطعةً من المنهاج ، وسمته عليه في التقسيم إلا مجالس فاتتني ، وسمعتُ دُروساً من شرح البهجة ومن حاشيته عليها ومن تفسير البيضاوي .

ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي ، فواظبته أربع سنين ، وكتب لي تقریظاً على شرح ألفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع في العربية تأليفه ، وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه ، ورجع إلى قولي مجرداً في حديث ؛ فإنه أورد في حاشيته على الشفاء حديث أبي الجرا في الإسرا ، وعزاه إلى تخریج ابن ماجه ، فاحتجت إلى إirاده بسنده ، فكشفت ابن ماجه في مظنته فلم أجده ، فررتُ على الكتاب كله فلم أجده ، فاتهمت نظري ، فررت مرة ثانية فلم أجده ، فعدت ثالثة فلم أجده ، ورأيت في معجم الصحابة لابن قانع ، فحُت إلى الشيخ فأخبرته ؛ فبمجرد ما سمع مني ذلك أخذ نسخته وأخذ القلم فضرب على لفظ « ابن ماجه » ، وكتب « ابن قانع » وألحق « ابن قانع » ، في الحاشية ؛ فأعظمت ذلك وهبته لعظم منزلة الشيخ في قلبي واحتمقاري في نفسي ، فقلت : ألا تصبرون لعلمكم تراجمون ! فقال : إنما قلدت في قولي « ابن ماجه » البرهان الحلي . ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات .

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة ، فأخذت عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك . وكتب لي إجازة عظيمة . وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروساً عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه وتلخيص المفتاح والعصّد .

وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين ، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلثمائة كتاب ، سوى ما غسلته ورجعت عنه . وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور .

ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمر ، منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين الألبقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر . وأفتيت من مستهل سنة إحدى وسبعين ؛ وعقدت إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين .

ورزقت التبخر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع على طريقة العرب والبلغاء ؛ لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة .

والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلا عن هو دونهم ؛ أما الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخى فيه أوسع نظرا ، وأطول باعا .

ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الإنشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات - ولم آخذها عن شيخ - ودونها الطب . وأما علم الحساب فهو أعسر شيء على وأبعده عن ذهني ، وإذا نظرت إلى مسألة تتعلق به ، فكأنما أحاول جبلا أحمله .

وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى ، أقول ذلك تحذّثا بنعمة الله على ، لا نفرا ، وأى شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر ! وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر ، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها

النقلية والقياسية ومداركها وتقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحول ولا بقوة إلا بالله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله .

وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً في المنطق ؛ ثم ألقى الله كراهته في قلبي . وسمعت ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك ، فموضى الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم .

وأما مشايخي في الرواية سماعاً وإجازة فكثير ، أوردتهم في المعجم الذي جمعتهم فيه وعدتهم نحو مائة وخمسين . ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم ؛ وهو قراءة الدرّاية^(١) .

وقد ظل السيوطي طوال حياته مشغولاً بالدرس ؛ مشغولاً بالعلم ؛ يتلقاه عن شيوخه ، أو يبذله لتلاميذه ، أو يذيمه فتياً ، أو يحجّره في الكتب والأسفار ؛ وحينما تقدم به العمر ؛ وأحسّ من نفسه الضعف ، خلا بنفسه في منزله بروضة المقياس واعتزل الناس ، وتجرّد للعبادة والتصنيف ؛ وألف كتابه : « التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس » .

وكان رحمه الله في حياته الخاصة على أحسن ما يكون عليه العلماء ورجال الفضل والدين ؛ عفيفاً كريماً ؛ غنيّ النفس ، متباعداً عن ذوى الجاه والسلطان ؛ لا يقف بباب أمير أو وزير ؛ قائماً برزقه من خاتناه شيخوخة ؛ لا يطمع فيما سواه . وكان الأمراء والوزراء يأتون لزيارته ويعرضون عليه أعطياتهم فيردّها ؛ وروى أن السلطان الغوري أرسل إليه مرّة خصياً وألف دينار ؛ فردّ الدنانير ؛ وأخذ الخصىّ ثم أعتقه ، وجعله خادماً في الحجرة النبوية ؛ وقال لرسول السلطان : لا تعد تأتينا قطّ بهدية ؛ فإن الله أغنانا عن ذلك .

وأما كتبه فقد أحصى السيوطي منها في كتابه نحواً من ثلاثمائة في التفسير وتعلقاته والقراءات ، والحديث وتعلقاته ، والفقه وتعلقاته ، وفن العربية وتعلقاته ، وفن الأصول

(١) حسن المحاضرة ١ : ١٤٢ - ١٤٤ .

والبيان والتصوّف ، وفن التاريخ والأدب ، والأجزاء المفردة ؛ ما بين كبير في مجلد أو مجلدات ، وصغير في كراريس أو أوراق ؛ وذكر تلميذه الداودي المالكى أنها أنافت على خمسمائة مؤلف ، وقال ابن إياس في تاريخه (حوادث سنة ٩١١) : إنها بلغت ستمائة مؤلف .

وتقع هذه الكتب في مجلد أو مجلدات ؛ كالزهر والإتقان والأشباه والنظائر وبنية الوعاة والدر المنثور في التفسير بالماثور والجامع الصغير والجامع الكبير وأمثالها ؛ أو في أوراق أو صفحات ؛ كهذه الرسائل التي طبعت باسم الحاوى في الفتاوى ؛ في مجلد يحوى ثمانية وسبعين كتابا في معظم الفنون وقد تدارس العلماء هذه الكتب في كل مكان ؛ وانتشرت في حياة السيوطى وبعده ، وعمرت بها المدارس والمعاهد ودور الكتب ، وكانه المستفتون من شتى الجهات ؛ مما أثار عليه فريقا من أقرانه ومعاصريه من العلماء ؛ تحاملوا عليه ورموه بما هو منه براء ؛ وكان من أشد الناس خصومة عليه ؛ وأكثرتهم تجريحا وتشهيرا ، المؤرخ شمس الدين السخاوى ؛ صاحب كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ؛ فقد ترجم له في هذا الكتاب ؛ ونال من علمه وخلقه ، مما يقع مثله بين النظراء والأنداد ، وقد انتصر السيوطى لنفسه في مقامة أسماها « الكاوى على تاريخ السخاوى » ؛ كما انتصر له فريق من تلاميذه وفريق من العلماء ممن جاء بعده ؛ منهم الشوكانى صاحب البدر الطالع ؛ قال في ترجمته للسيوطى بعد أن نلخص مطاعن السخاوى فيه ؛ ورد هذه المطاعن عنه : « وعلى كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل بعدم قبول قول الأقران بعضهم في بعض ؛ مع ظهور أدنى منافسة ؛ فكيف يمثل المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض ! فإن أقلّ من هذا يوجب عدم القبول ؛ والسخاوى رحمه الله وإن كان إماما غير مدفوع ؛ لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه » (١) .

(١) البدر الطالع ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

وكانت وفاة السيموطى - على ما ذكره ابن إياس - فى يوم الخميس تاسع شهرى جمادى
الأولى سنة ٩١١ ، ودفن بجوار خاتماه قوصون خارج باب القرافة ، بعد أن ملأ الدنيا علما
وفضلا ، وشهرة وذكرا .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١٩ شعبان سنة ١٣٨٤ هـ
٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٤ م

بُعَيْرُ الوَعَاءِ

فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنَّحَاةِ

لِلْحَافِظِ حَبَلَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السِّيُوطِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله خالق الوجود ومعدِّمه ، ومانح الفضل وملهمه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رافع لواء الدين ومُعلمه ، وخافض لواء الشرك وميسمه . أما بعد : فإنِّي منذ نشأت وأنا أتشوق إلى كتاب يجمع أخبارَ النحويِّين ؛ لزيد اختصاصي بهذا الفنِّ ؛ إذ هو أوَّل فنوني ، والنوع الذي عُنيت به قبل أن تجتمع شئونِي ، فوقفت على طبقات النحاة البصريين لأبي سعيد السيرافي ؛ فإذا هي كراسان ، ثم على كتاب مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد بن عليّ الحلبيّ اللغويّ ؛ فإذا هو أربع كرايس . ثم على طبقات النحاة لأبي بكر محمد بن الحسن الزُّبيديّ فإذا هو جزء لطيف ، ثم على البلغة في طبقات أئمة اللغة للقاضي مجد الدين الفيروزآباديّ صاحب القاموس ؛ وهو أيضاً جزء لطيف .

فلم أر في ذلك ما يشفي العليل ، ولا يسقُ الغليل ؛ فجردت الهمة في سنة ثمان وستين وثمانئة إلى جمع كتاب في طبقات النحاة ، جامع مستوعب للمهمات ، وعمدت إلى التواريخ الكبار التي هي أصول وأمات^(١) ، وما جمع عليها من فروع وتتمات ، وطالمتُ ما ينيف على ثلاثمائة مجلد .

من ذلك تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب ، عشر مجلدات ، ومن الذيل عليه للحافظ محبّ الدين بن النجار ، بضعة عشر مجلداً ، ومن ذيله أيضاً للحافظ أبي سعد السمعاني^(٢) ، مجلد ، ومن ذيله أيضاً لأبي عبد الله محمد بن سعيد الديبئيّ ، مجلد ، ومن ذيله للحافظ تقيّ الدين بن رافع ، مجلد . وتاريخ دمشق للحافظ أبي القاسم بن عساكر سبعة وخمسون مجلداً ، وتاريخ حلب للسكّال بن العديم ، عشر مجلدات .

(١) أمات : جمع أمّ ، مثل أمهات . (٢) حاشية الأصل : « شيوخ السمعيّ تزيّد على أربعة آلاف شيخ ، كذا في بعض الطبقات » . وقد جمعها السمعيّ في معجم سماه « التحبير » ، منه نسخة مخطوطة في الظاهرية .

وتاريخ نيسابور للحافظ أبي عبد الله الحاكم ، ست مجلدات ، والذيل المسمّى بالسّياق عليه لعبد الغافر الفارسيّ ، مجلّد . وتاريخ أصبهان للحافظ أبي نعيم ، مجلّد ، وتاريخ بلخ ، مجلّد ، وتاريخ إربل لأبي البركات بن المستوفى ، أربع مجلّدات . وتاريخ قزوین للرافعيّ .

وتاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد بن الفرّاضيّ ، مجلّد . والصلّة عليه لأبي القاسم ابن بشكّوآل ، مجلّد ، وصلة الصلّة لأبي جعفر بن الزبير ، مجلّدان ، والذيل والتكلمة على الموصول والصلة لابن عبد الملك ، تسع مجلّدات ، وبعض التكلمة لأبي عبد الله محمد ابن محمد بن الأبار . ومن تاريخ الأندلس لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميديّ ، مجلّد . ومن ريحانة التنفّس في علماء الأندلس لابن عات ، مجلّد . والمغرب في حلّي المغرب لعلّيّ ابن سعيد الأندلسيّ ، ست مجلّدات ، والإحاطة في تاريخ غرناطة لسان الدين بن الخطيب ، ثمان مجلّدات .

وتاريخ مصر لأبي سعيد بن يونس ، مجلّد . وتاريخ اليمن للجندبيّ ، مجلّد ، وتاريخ اليمن للخزرجيّ ، مجلّدان . وتاريخ مكّة للحافظ تقّيّ الدين الفاسيّ ، ثلاث مجلّدات . والطالع السعيد في تاريخ الصعيد للكامل الأدفويّ ، مجلّد ، والبدور السافرة^(١) في أدباء المائة السادسة ، مجلّد .

والرحلة لأبي القاسم التّجيبّيّ ، ثلاث مجلّدات ، والنّصار لأبي حيّان ، مجلّد . والرحلة السّماة : ملء العميّة فيما جمّع بطول العميّة ، في الرحلة إلى مكّة وطيبة ، للحافظ محبّّ الدين بن رشيد ، ست مجلّدات .

ومن تاريخ من دخل مصر للحافظ زكيّ الدين المنذريّ المسمّى بالتكلمة لوفيات النّقلة ، مجلّد ، وصلة التّكلمة لوفيات النّقلة للحافظ عزّ الدين أحمد بن محمد الحسينيّ ، مجلّد . والأغانى لأبي الفرج الأصبهانيّ ، عشرون مجلداً .

(١) كذا في الأصول ، وفي الدرر الكامنة ٢ : ٥٣٥ في ترجمة الأدفويّ : « البدر السافر ، وتحفة المسافر » ، وهو الآوفق . وفي كشف الظنون ٢٣٠ : « وأكثّر تراجمه في القرن السابع » .

والتاريخ الكبير للحافظ أبي عبد الله الذهبي ، عشرون مجلدا ، وسير النبلاء له ،
أربعة عشر مجلدا ، والعبر له ، مجلد ، وطبقات القراء له ، مجلد .
والتاريخ الكبير للصلاح الصفدي وهو بخطه في أكثر من خمسين مجلدا ،
وأعيان العصر له ، سبع مجلدات .

ومن المسالك لابن فضل الله ، ثلاث مجلدات ، ومن تاريخ العباد بن كثير ، ست
مجلدات . والدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ أبي الفضل بن حجر ، مجلدان .
وإنباء الغمر بأبناء العمر له ، مجلدان . ومعجم السفر للسلفي ، مجلد .

ومن تذكرة الجمال يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الأسديّ الدمشقيّ
المعروف باليعموريّ ، ست مجلدات ، ثلاث بمكة ، وثلاث بالقاهرة بخطه ، ومن
تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم ، خمس مجلدات وفيها تراجم نحاة كثيرة .

ومن معاجم المحدثين ومشيوخاتهم ما لا يحصى كثرة ، كمعجم الزكي المنذريّ
والشرف الدمياطيّ ، والأبيورديّ ، والصفّيّ خليل المرافيّ ، والصغراويّ ،
والذهبيّ ، والسبكيّ وولده ، والجمال بن ظهيرة .

ومن كتب الأدب والأخبار جملة ؛ كأمالى أبي عليّ القاليّ ، خمس مجلدات ، ومن
أمالى أبي بكر بن دُرّيد ، مجلد ، ومن أمالى أبي بكر بن الأنباريّ ، مجلد ، ومن الجليس
والأنيس للمعافيّ بن زكريا ، مجلد ، والكامل للبرّد ، مجلد ، وأمالى ثعلب ، مجلد ،
وأمالى الزجاجيّ .

ومن المجموع الأدبية ما لا يحصى . وبعض طبقات القراء لأبي عمرو الدانيّ ، وذيل
طبقات القراء للعفيف المطريّ .

فجمعت كلّ ما تضمنته هذه الكتب المذكورة من ترجمة نحويّ ؛ طالت أو
قصرت ، خفيت أخباره أو اشتهرت ؛ وأوردت من فوائدهم وأخبارهم ومناظراتهم
وأشعارهم ومروياتهم ومفرداتهم ما لم يجتمع في كتاب ، بحيث بلغت السوّدّة سبع
مجلدات ؛ فلما حلت بمكة المشرفة سنة تسع وستين ، وقت عليها صديقنا الحافظ نجم الدين